موقفـــان متشابكان

يتعين بعد هذا التتبع الانتقائي للاحداث والمواقف والاقوال التي صدرت عن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ان نتجه نحو محاولة لتلمس الاتجاهات التي تشكل حصيلة هذه الجزئيات · ذلك ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي هما الاشد تأثيرا في اتجاهات التطورات ، خاصة عندما يبرز الخلاف بينهما الى المقدمة ، ولا يعود الخلاف في خلفية المشهد · كذلك لان التطورات التي اعقبت زيارة السادات لاسرائيل تمحورت ـ من منظور دولي ـ حول محورين : (١) جنيف وتسوية شاملة بحضور كل الاطراف بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية ، (٢) او تمهيدات ثنائية بين اسرائيل ومن يرغب (مثل السادات) من الدول العربية تمهد لاتفاقات نموذجية ثنائية تحتذى من غيرها الراغبين فيما بعد ، وقد تمهد لمؤتمر جنيف ، اذا ما امكن جذب مزيد من الاطراف نحو هذه التمهيدات لتصبح اوسع من ثنائية واضيق من شاملة · والمحور الاول يتبناه بوضوح الاتحاد السوفياتي · والمحور الثاني تتبناه بالمراوغة الولايات المتحدة ·

ونلاحظ ـ فوق مستوى الجزئيات التي استعرضناها ان الولايات المتحدة ـ برغم كل الحرص الدعائي على التمسك بجنيف والتسوية الشاملة ـ اتجهت نحو الاستغناء عن جنيف ، وهو معادل للاستغناء عنه ـ او بالاحرى التخلص منه ـ المشكلات المزمنة التي رافقت مساعي عقد مؤتمر جنيف ، وعلى رأسها مشكلة التمثيل الفلسطيني · فالولايات المتحدة تتمسك باستبعاد منظمة التحرير الفلسطينية وتبحث بكل جهد عن ممثل بديل للفلسطينيين ، وفي الموقف الذي خلقته زيارة السادات فان الاتجاه الاميركي يعني نتيجة واحدة هي تسوية مصرية ـ اسرائيلية منفصلة ، مهما قيل في المرحلة الحالية انها « غير مرغوب فيها » فانه يمكن ان يقال بعد ذلك انها الممكن الوحيد في وجه « الرفض » العربي والدولي ·

وبالمقابل حافظ الاتحاد السوفياتي على تمسكه بمؤتمر جنيف بكل ما يعنيه · وذلك تمسكا بالجانب الفلسطيني ، وبموقف عربي متحد · وبدور سوفياتي في محاولات التسوية الشاملة للازمة ·

فهل تستطيع الولايات المتحدة ان تدفع التطورات في اتجاه التخلص من الجانب الفلسطيني والدور السوفياتي وتفتيت الموقف العربي ؟ يمكن ان ترتفع حدة الخوف من مثل هذا الموقف اذا نجحت في دفع اسرائيل الى تقديم تنازلات جوهرية لمصر في اتفاق ثنائي · · الامر الوحيد الذي يخلق اغراء لاطراف عربية اخرى ، وان لم يؤد ـ عمليا ـ في النهاية الى تقديم مثل هذه التنازلات بعد ذلك لتلك الاطراف التي ستأتي الى الحلبة متأخرة · فضلا عن ان شواهد الموقف الاسرائيلي لا توحي للان باستعداد لهذا النوع من التنازلات في اي الاحوال ·

ثم هل يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يدفع التطورات في اتجاه العودة الى نقطة ما قبل « الزيارة » ؟ ام ان وقوع حدث « الزيارة » نفسه يخلق حتمية تغيير نحو موقف سوفياتي « رافض » في المعنى نفسه الذي يحمله « الرفض » العربي الراهن ؟ ان الاتحاد السوفياتي يستند في دبلوماسيته الان الى موقف عربي اصلب اقتناعا باهمية الدور السوفياتي عما كان عليه هذا الاقتناع قبل « الزيارة » ، وربما كان هذا هو مصدر القوة الاساسي للدبلوماسية السوفياتية في المرحلة الراهنة ، ويتعين على الاتحاد السوفياتي في هذه المرحلة ان يعطي كل شعور لكل العرب ـ قابلين ورافضين ـ بان « الوفاق » مع